تطوراللغة العربية من العرب إلى شبه القارة (الهند وباكستان)

The development of the Arabic language from the Arabs to the sub-continent (India and Pakistan)

Muhammad Abdul Rehman
Lecturer Arabic, Department of Arabic & Islamic Studies, University of Mianwali
Email: mabdulrehman@umw.edu.pk
Dr. Hafiz Faiz Rasool
Assistant Professor, Department of Arabic & Islamic Studies, University of Mianwali
Email: drhfrasool@umw.edu.pk
Abbas Ali Raza
Lecturer, Department of Islamic Studies, Lahore Garrison University
Email: abbasaliraza@lgu.edu.pk

Abstract
God chose the Arab nation to convey the call of Islam to all nations, and their leadership chose the Arab prophet and our Messenger Muhammad (peace be upon him), so the Arabs carried this message with merit and fulfilled the trust with sincerity and sincerity in intention and action, and offered martyrs for it and endured trouble and hardship for it, and led liberation armies, to liberate man from worshiping idols to worshiping the one religion, and so that this light reaches everywhere, and they left the clan and the homelands for it and settled in distant lands to spread the principles of Islam pleasing to God and His Messenger. Islam entered the countries of India since the first issuance of the Islamic call during the era of the Commander of the Faithful, Umar ibn al-Khattab, may God be pleased with him, and the conquests expanded during the Umayyad era under the leadership of (Muhammad ibn al-Qasim al-Thaqafi). From the Nitrian monsters, then it was followed by migration after the Safavid attack on Iraq, and India was overwhelmed by the waves of Arab-Islamic immigration, and it was receiving these generous delegations with a wide-open heart, honoring their support and improving their benefit, and competing in the largest number of scholars, gentlemen, supervision, and people of virtue and righteousness who seek refuge in it and considers their presence a pride that is not above it. Among them emerged the scholars, writers, poets, and virtuous men who devoted themselves to seeking knowledge, teaching it, and spreading the principles of Islam. Thanks to their blessed efforts, the Islamic call and the Arabic language, the language of the Great Qur'an, flourished in a way that was not known in any other Islamic country during those centuries that witnessed a general decline in science, thought, and

writing in the Arab world, which was intensified by the Tartar campaign that destroyed the Arab-Islamic civilization in Baghdad in its golden age.
Keywords: Islam, Arab world, Arabic language, Teaching, Leadership

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد سيد العرب والعجم وعلى آله وصحبه خير من تعلم وعلم ، وبعد : لقد اختار الله أمة العرب لتبليغ دعوة الاسلام الى كافة الأمم، واختار القيادتهم النبي العربي سيدنا محمد ﷺ فحمل العرب هذه الرسالة بجدارة وأدوا الأمانة بصدق واخلاص في النية والعمل، وقدموا لها الشهداء وتحملوا من أجلها العناء والمشقة، وقادوا جيوش التحرير، لتحرير الإنسان من عبادة الأوثان الى عبادة الواحد الديان، وليصل هذا النور الى كل مكان، وتركوا من أجلها العشيرة والأوطان واستقروا في بلاد بعيدة لنشر مبادىء الاسلام إرضاء الله ولرسوله . وقد دخل الاسلام في بلاد الهند منذ الصدر الأول للدعوة الاسلامية في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتوسعت الفتوحات في العهد الأموي بقيادة (محمد بن القاسم الثقفي) [1]فاستقر في تلك البلاد وغيرها عدد من البيوتات العربية والقبائل العربية لا يزالون الى هذا اليوم يحتفظون بأنسابهم وانتسابهم إلى القبائل العربية التي نزحوا منها مثل العراق والجزيرة العربية، ثم هاجر من العراق كثير من الأسر الشريفة والقبائل العربية الى بلاد الهند وذلك في فجر القرن السابع الهجري لتحتمي يظل حكوماتها الاسلامية القوية من الوحوش النترية، ثم أعقبتها هجرة بعد الهجمة الصفوية على العراق، وقد غمرت الهند موجات الهجرة العربية الاسلامية، وكانت تستقبل هذه الوفود الكريمة بصدر رحب وتكرم رفادتها وتحسن وفادتها ، وتتنافس في أكبر عدد من العلماء والسادة والاشراف وأهل الفضل والصلاح الذين يلتجئون اليها وتعتبر وجودهم مفخرة ليست فوقها مفخرة، وظل هؤلاء العرب المسلمون امنين مطمئنين مكرمين في تلك الديار[2]

فبرز منهم العلماء والادباء والشعراء والفضلاء الذين عكفوا على طلب العلم وتدريسه ونشر مبادىء الاسلام وبفضل جهودهم المباركة ازدهرت الدعوة الاسلامية واللغة العربية لغة القرآن العظيم ازدهارا لم يُعرف في بلد إسلامي اخر في تلك القرون التي شهدت انحطاطاً عاماً في العلم والفكر والتأليف في العالم العربي الذي أثخنته حملة التتار التي دمرت الحضارة العربية الاسلامية في بغداد في عصرها الذهبي . [3]

ومن يقرأ تراجم رجال الهند يجد عدداً كبيراً منهم من أصل عربي وقد تسلموا مناصب الحكم والقضاء والافتاء والتدريس وغيرها وأسسوا الدول والامارات وأنشأوا المدارس والمعاهد والجامعات وصدرت عنهم دوائر المعارف والموسوعات العلمية والاسلامية في مجلدات عديدة كما أصدروا الصحف اليومية والاسبوعية والشهرية في اللغة العربية الى هذا اليوم.وفي مكتبات

الهندية و شبه القارة أن كثيراً من الشخصيات البارزة قديماً وحديثاً هنالك . من أصول عربية، وأضرب مثلاً على ذلك أنه يوجد بمدينة (سلهات) في بنغلادش خمسمائة عائلة عربية رحلوا من بغداد في أزمنة متفاوتة كما يوجد عدد من المساجد والتكايا والمراقد لاناس من عرب العراق ومن مدينة بغداد بالذات، إلا أنه مع الأسف بقية بلاد الهند محجوبة عن أنظار الكتاب والمؤرخين العرب فلم يكتبوا عن علماء تلك الديار إلا الشيء القليل ، علماً أنه كان لهم الفضل الأكبر في نشر الدعوة الاسلامية واللغة العربية هناك، وبفضل جهادهم وعلمهم وفضلهم بقيت دعوة الاسلام راسخة الاقدام قوية الحجة عبر القرون.[4]

وكان أهم هذه الكتب التي حصلت عليها هو كتاب (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للعلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسني البغدادي الأصل والمطبوع بحيدر أباد الدكن، ويقع الكتاب بتسعة أجزاء ضخمة جمع في كتابه معظم الكتب المطبوعة والمخطوطة في تراجم الرجال وقد ضم آلاف التراجم، وقد استللت منه تراجم علماء العرب فقط وقد أضفت في كتابي تراجم أخرى لم يكتبها العلامة عبد الحي الحسني كما ذكرت تراجم بعض الأحياء وقد بذلت جهوداً متواصلة ومكثفة لجمع هذه التراجم عن رجالات العرب الذين برزوا في شتى العلوم والفنون، معتمداً على أهم المصادر التي ألفت من قبل علماء الهند والسند وقد سميته (علماء العرب في شبه القارة الهندية) أقدمه لقراء العربية،وهذا الكتاب يعتبر جديداً في بابه حيث لا يعرف كثير من أبناء الامة العربية عن رجالهم في الديار الهندية الا الشيء القليل وهم بلا شك مفخرة للامة العربية.[5]

تطوراللغة العربية من العرب إلى شبه القارة :

الفتوح التي أنعم الله تعالى على الأمة المسلمة وفيه فتح السند، تمّ فتحها على يد القائد الشاب الإسلامي الثقفي محمد بن القاسم رحمه الله تعالى عليه رحمة واسعة، ولكنه أجبر على العودة إلى دمشق وقدمه لم تتجاوز بلاد السند و ملتان،وهكذا حرمت هذه المنطقة أي (شبه القارة الهندية) أثر الثقافة الإسلامية العربية الأصيلة الداخلية، وكان الإسلام هو قد دخل الفارس، ومن طريق الفارس وصل الإسلام إلى منطقة أفغانستان ومن هناك دخل إسلام والمسلمون قاطنو تلك البلاد في الهند بحالة أن يكون فاتحين، ولما كانت لغتهم الفارسية، وقرروها لغة عربية هي لغة رسمية في الهند

وهكذا سدت الفارسية هي طريق العربية في البلاد الهندية، فما هي صمدت ضد الهجمات الخارجية، والمؤامرات الداخلية وهنا وما تركت العربية لتنشأ وتتطور وتنتشر في هذه البلاد هادئة مطمئنة. مع ذلك كله، فكثير من العلماء المخلصين الربانيين ، فجعلوا يدونون العلوم العربية الإسلامية باللغة العربية، وأنشأء بعضهم مدارس عربية دينية يدرسون فيها اللغة العربية وعلومها وفنوها وتاريخها، ودخل بعضهم إلى زوايا المساجد، وتخلى آخرون بأنفسهم في المرابط

والرباطات، وكان كلهم درس اللغة العربية وعلومها و تاريخها وفنوما والعلوم الإسلامية وتدريسها العربية . ولما تسيطر الإنجليز على مقاليد الحكم ومفاتيح الأمر بالدسائس والمكر والدهاء صارت الظروف أسوأ وتقلبت الأحوال، و كانوا قد نزعوا الحكموو الأمر من أيدي المسلمين بالدسائس والمكر والدهاء فكان خوفهم منهم أشد وأكثر فضيقوا لهم في جميع نواحي الحياة والمعاملة، وحاولوا أن يرغبوا عن تعليم العلوم الإسلامية، وتدريس اللغة العربية وعلومها وفنوما في المعاهد العلمية الحكومية، ولكننا العلماء المسلمين لم يخضعوا حيث لم تنقطع آمالهم ولم ينته رجاؤهم فما زالوا يحافظون على العلوم العربية والإسلامية حتى قدر الله أن تنشأ في هذه المنطقة دولة إسلاميةمستقلة، باسم "الجمهورية الإسلامية باكستان".[6]

تطور اللغة العربية في الباكستان :

وفي باكستان الإسلامية قد شاهدت العلوم العربية والإسلامية تطوراً هائلاً وتغيراً مدهشاً،[7] فقد كانت تدرس وتعلّم في المدارس العربية الدينية الخاصة من قبل إنشاء باكستان وفيها نشأ العلماء الأفاضل والأساتذة الأماثل فقد ملأوا الدنيا درساً وتدريساً وتصنيفاً وتأليفاً، ولم أنشأت دولة باكستان الإسلامية وقامت واستقلّت، شرعت تتوسع مجالات نشأة هذه العلوم فشملت المعاهد العلمية الحكومية من المدارس والكليات والجامعات، ولاتزال تتوسع، وظهر فيها عدد كبير من الأدباء والشعراءخاصة، قد جعلوا همهم احتثاث قرائحهم وإثارة ملكهم لقرض الشعر العربي وإنشاده.والّذي يتتبع آثار الشعر العربي في باكستان، وخاصة الشعر العربي الذي نشأفي هذه البلاد بعد استقلالها، تغمره الحيرة ويدهشه الإعجاب حيث يجد هذه الكثرةالكاثرة من الشعراء الذين تناولوا اللغة العربية لإبداء مشاعرهم وجعلوما مجالاً للتعبيرعن أحاسيسهم وعواطفهم، والحقيقة التي لا تنكر أن نظم الشعر في أية لغة أصعبوأشد من الإنشاء في النثر، ولايستطيع كل واحد،[8] حتى من أهل اللغة أن يقول شعراً،لأنّ هذه الملكة موهبة من الله العزيز العليم ثمّ إنه يتقاضى ثقافة موسعة ومهارة لغويةتامة، مع سيطرة بالغة على اللغة ومعرفة كاملة لموارد اللغة ومصادرها، وأبنيتهاوأساليبها وغيرها الأشياء الكثيرة، فإذن قول الشعر باللغة العربية دليل على تمكن هؤلاء الشعراء على هذه اللغة الكريمة[9].

أعلام الشعر العربي في باكستان :

يمكن لنا أن نقسم شعراء الباكستان بالعربية الإسلامية إلى مدرستين أساسيتين:

الأول هي المدرسةالتقليدية والثاني هي المدرسة التجديدية، ونقصد بشعراء المدرسة التقليدية شعراء العربية في المدارس الدينية ويراد بشعراء المدرسة التجديدية شعراء العربية في المعاهد العلمية الحكومية باعتبار الصفة الغالبة.[10]

إن الأغلبية الغالبة من شعراء باكستان الذين استقوا من مناهل المدارس الدينية تأثروا كثيراً بمناهجها الدراسية فهم بطول درسهم للأدب العربي وتدريسه شغفوا بقرض الشعر ولكن شعرهم في الغالب شعر تصنع وتكلف وليس بالشعرالمطبوع الذي ينبع من القلب ويفيض رقة وعذوبة، ولا الشعر الحماسي الذي يمتاز برصانة التراكيب، وفخامة الألفاظ، وجزالة الأسلوب ونجد بعض المستثنيات في شعرالقلة من الأدباء الذين يمكن أن نعتبرهم من الشعراء المطبوعين ولعلّ السبب في ذلك حذو شعراء باكستان نماذج الشعر الجاهلي (المعلقات السبع، وديوان الحماسة) وشعرالمتنبي، [11]دون النظر في الشعر العذري الرقيق العذب كشعر عمر بن أبي ربيعة، وجميل بثينة ومن الشعراء العباسيين النوابغ، بشار بن برد وأبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي العتاهية وابن الرومي وأبي فراس الحمداني وغيرهم من العشرات الفحول من الشعراءالذين نقف على شعرهم الكثير في الموسوعات الأدبية القديمة مثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني والعقد الفريد لابن عبدربه ويتيمة الدهر للثعالبي وغيرها.وكما أنه من المعلوم المعترف به أن ابتعاد اللغة وآدائها عن عقر دارها وموطنها الأصلي يبعدها عن مستوياا الأدبية وأساليبها اللغوية، كما أن الإنتاج في النظم ينقلص ويتخلف ويضعف ويتضائل كلما ازداد البعد من الموطن الأصلي وانقطعت الصلة بأهل اللغة وكذلك فإن إتقان لغة من اللغات ورفع مستوياالعلميةوأساليبها الأدبية يحتاج إلى الاحتكاك بأهل اللغة والاطلاع على أساليبهم في التعبيركتابة وحديثاً والاستسقاء من مواردهم الثقافية الأصلية، لاتختلف دون شك وأي استثناء فقد كان من الشعراء العرب الذين ماجروا إلى بلاد شبه القارة، وهم قليلون جداً، فقاموا بدورهم في إنتاج الشعر والتأثيرفيما أنتجه تلاميذهم من أهل البلد كما أن من الشعراء والكتاب الذين احتكوا بأهل اللغة من العرب الكرام سواء كان ذلك باللقاء أو الاختلاط مع القادمين الطارئين وزواراً أو بالرحلة إلى البلاد والعواصم الثقافية العربية والمراكز الأدبية مسافرين وطلاباً[12].

إن الدراسة لما أنتجه الشعراء باللغة العربية في شبه القارة الهندية الباكستانيةتوضح الفرق جلياً بين ما قاله المستفيدون من أحواض العروبة استفادة مباشرة وبين ماأنتجه من ذهب مذهب المقلدين المتكلفين الذين لم يتمكنوا من التلمذ على أهل اللغة أوالاستفادة من عواصمهم الثقافية مباشرة.فنرى أصحاب الشعر العربي الذين ترب وا في أحضان المدارس الدينية قد ظلوافي الغالب يكتفون بما وصل إليهم من الشعر العربي في الجاهلية والإسلام أوما قرأوه فيالمقررات الدراسية بطريقة قديمة عقيمة كالمعلقات وديوان الحماسة وشعر حسان بنثابت، ثم أخذُوا يرد دون ويلوكون ما قرأوه، والواقع أن هذا النوع من الشعر لكثيرجداً، وأن الكثرة الكاثرة من الشعراء في شبه القارة الهندية الباكستانية ينتمون لهذهالمدرسة في تاريخ الشعر العربي خلال القرون الطويلة وذلك لأسباب منها:[13]

١ـ عدم اعتنائهم بالشعر العربي الحديث ـ

٢ـ قلة الاتصال بينهم وبين العرب ـ

٣ـ عدم وجود تبادل ثقافي بينهم وبين علماء العرب وشعرائهم ـ

٤ـ قلة المبعوثين من البلاد العربية إلى المنطقة ـ

٥ـ صعوبة تبادل الأفكار والإنتاج الأدبي بين باكستان والبلاد العربية.

فلهذه الأسباب وغيرها لم يستطع شعراء هذه المنطقة أن يأتوا بإنتاج شعريمثل عصرهم وبيئتهم وإنما ظلّوا يرد دون على ألسنتهم ماتيسرلهم من المعاني والمفردات اللغوية.[14]

ويغلب على شعرهم الأسلوب العلمي لا الأدبي، ويسود على شعرهم التأثربالقرآن والحديث النبوي وشعر القدامى فتكثر عندهم الاقتباسات والتضمينات منها،كما نرى الكثرة الكاثرة من هؤلاء الشعراء يحاكون ويعارضون شعر القدامى وكان جميع هؤلاء الشعراء علماء الدين ورجال العلم والثقافة ولكل هذه السمات انعكاسات في شعرهم وإن كان ضعيفاً من الناحية اللغوية ولم يكن سبكه يضارع الشعر العربي الموروث بسبب ثقله بكلمات ذات صبغة علمية وبديعية ولكنه من حيث الأفكاروالمعاني شعر قوي ذو أثر بالغ في المثقفين وإنه يخاطبهم دون الشعب وإذا كان الأمرعلى ماذكرنا فلا ينبغي أن يحكم عليه بالتقليد الجامد.[15]

وخلاصة القول:

أن إنتاج الشعراء لهذه المدرسة ليس بمجرد تقليد وترديد أومجس سخيف، بل يوجد فيهم عدد غير قليل من الشعراء قد قرضوا الشعر أو نسجوهعلى منوال الشعر الجاهلي أو الإسلامي يكاد يضاهي شعر الكبارمن الشعراء في عصورالجاهلية والإسلام، وفيهم من أنتج شعراً غزيراً حتى نصب له ديوان شعر يستحقالدراسة والاهتمام فمن هؤلاء الشعراء الشيخ محمد يوسف البنوري الذي تثقف عليهاجيال من علماء العربية في باكستان.[16]

الهوامش

1 إحسان حقي (الدكتور): **باكستان ماضيها وحاضرها**، (١٩٧٣) بيروت، دارالنفائس، الطبعة الأولي،ص١١٣

2 إدريس، أحمد (الدكتور): **الأدب العربي في شبه القارة حتى اية القرن العشرين**، (١٩٩٤م)، إسلام آباد،ص ١١٢

3 أظهر، ظهور أحمد: **"الشعر العربي وتطوره ومذاهبه في شبه القارة"**. مجلة الجامع العربي الباكستاني، لاهور، المجلد الأول العدد الثالث،ص٧١

4 الجلاسي، غلام النصير : **التبيان في شهر رمضان** .الطبعة الثانية . راولبندي : مطبعة أسد محمود، ١٤٢٣هـ،ص ١٥ـ

5 د.عبدالمنعم النمر، **تاريخ الإسلام في الهند**، (١٩٥٩م)، الطبعة الأولى، مصر . ومحمد الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية، (١٩٦٩م)، مصر: مؤسسة دار التحرير للطبع والنش،ص٩٠.

6 الدكتور إحسان حقي: **باكستان ماضيها وحاضرها**، (١٩٧٣م) بيروت: دارالنفائس، الطبعة الأولى،ص١١١ـ

7 زيدان ، جرجي ، **تاريخ آداب اللغة العربية** . بيروت : دار مكتبة الحياة، ١٩٨م،ص٧٣ـ

8 الروحي :أصغرعلي ،الديوان. تحقيق : الدكتور رانا ذوالفقار على . تقديم : الدكتور ظهور أحمد أظهر، لاهور: مجلة المجمع العربي الباكستاني ، المجلد الأول ، العدد الثالث، ط ٢٠١٣، ص ١٥٥ـ

9 عبدالله، محمود محمد: **اللغة العربية في باكستان دراسة وتاريخاً**، (مايو ١٩٨٤،) الطبعة الأولى. باكستان: وزارة التعليم الفيدرالية،ص١٥ـ

10 مجلة الفاروق، السنة ١٣ العدد ٥١(محرم، صفر، ربيع الأول ١٤١٨م): ص ١١ـ١٢

11 فيوض الرحمن(الدكتور): **مولانا أشرف علي التهانوي وخلفاؤه**، (١٩٧٧م)،كراتشي: مجلس نشريات إسلام،ص١١٥ـ

12 شفيع، محمد المفتي، نفحات في فضل اللغة العربية : كراتشي: إدارة المعارف، رجب ١٣٩٣هـ،ص ١٢٠ـ

13 عبدالله و محمود محمد: **اللغة العربية في باكستان**، كراتشي: مجلس نشريات إسلام، ١٩٧٧م،ص٣٢ـ

14 اللكهنوي، عبدالحي: **نزهة الخواطروجهة المسامع**، (١٩٥٤م) الطبعة الأولى،حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية،ص١١٨ـ

15 محسن، عبدالكبير: **"الفكرية الشعرية لدى محمد جميل قلندر"**،(٢٠٠٠م)، مجلة القسم العربي جامعة بنجاب،ص١٣ـ

16 الندوي، محمد ناظم: **باقة الأزهار**، ((بدون التاريخ)، كراتشي: دارالتأليف والترجمة،ص١١ـ